المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 09-05-2007 العـــدد : 12641
الصفحـات : 147 المسلسل : 523

الدبلوماسية السعودية.. قوة وطنية مضاعفة بالمكاسب والاحترام

المصـــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 09-05-2007 العـــدد : 12641
الصفحـات : 147 المسلسل : 523

كانت القيادة السعودية قد وفقت بحول الله تعالى في إنجاز اتفاقية الصداقة والصلح بين حكومتي السودان وتشاد، وذلك يضاف إلى رصيدها الخير ونهجها الحكيم.

وقد جاء هذا الاتفاق بين البلدين الجارين في وقت حرج تتصاعد فيه المشاكل وتتحول إلى أزمات يزداد تعقيدها وتتزايد مستويات إنهاكها لقوى الجميع. وتعتبر هذه المبادرة السعودية الجديدة مكسباً لكل محبي السلام وعائقاً في وجه محركي الفتن والأزمات.

والسعودية بنظرتها الصائبة تدرك حجم الخسائر وحجم الآلام والمآسي التي تنتج عن استمرار الصراع بين أي دولتين جارتين أو داخل بلد واحد.

ففي الأمس القريب الخميس ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ الموافق الرابع من مايو ٢٠٠٧م ،نجحت المساعي الحميدة لخادم الحرمين الشريفين العاهل السعودي في تقريب وجهات النظر نحو صفحة جديدة بين الدولتين الجارتين السودان وتشاد.

وفي ضيافة الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - وبحضور ولي عهده الأمين الأمير سلطان بن عبدالعزيز تحققت المبادرة السعودية نحو إنهاء الأزمة التي استنزفت قوى الجوار وأسست لتدخلات دولية مستقبلية وشيكة وخطيرة. وتعتبر تسوية أزمة دارفور وتوثيق أواصر الصداقة بين البلدين وحل الخلافات بالطرق السلمية والالتزام باحترام مبادئ حسن الجوار أبرز مضامين هذا الاتفاق الذي وقعه رئيسا البلدين في مواده الثماني في مقر اللقاء بمزرعة الملك عبدالله بن عبدالعزيز بالجنادرية شرق مدينة الرياض العاصمة السعودية.

وكانت التحضيرات الإعلامية المصورة بشكل شامل وبارز قد عرضت للعالم مراسم حفل توقيع الاتفاق بين البلدين من قبل الرئيس السوداني الفريق عمر البشير والرئيس التشادي إدريس ديبي وبحضور خادم الحرمين الشريفين.

وتلك المراسم قد عرضت شكلاً متميزاً من الدبلوماسية يؤكد على سمو الخصوصية والمصداقية في الدبلوماسية السعودية بحسن الضيافة ودقة التنظيم وهو ما يبرهن على معطيات التميز السعودي.

وبحكم الاتصال والتواصل الإقليمي جغرافياً وعاطفياً فإن ثورة المعلومات والاتصالات الراهنة قد نقلت الأحداث اليومية إلى كل بيت وكل نفس: ما جعل الجميع يشكرون في مستوى الأزمة التي يعيشها الناس تحت الأزمات ومستوى متابعتهم للشؤون السياسية عامة.

ولذلك فإن حجم تلقي الأخبار السارة باتفاقية الصلح بين تشاد والسودان قد أدخل كثيراً من السعادة وقابله الجميع بخالص الدعوات وجزيل الشكر لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز لمواقفه الإنسانية الحكيمة والنبيلة.

وإذا كان هذا الإنجاز الدبلوماسي السعودي قد جاء في وقته المناسب بعد أن استعصى على جميع الأطراف في المحيط الإقليمي والعالمي فإننا ندعو الله تعالى أن يثبت هذا العمل الدبلوماسي الخير ويحقق له استمرار النجاح ليتحول إلى حل شامل وعادل يكبح جماح المخاطر التي ما فتئت تنشأ هنا وهناك بين الحين والآخر.

وهذا الحدث المهم قد جاء ليضيف إلى رصيد الدبلوماسية السعودية مكسباً يزيدها فخراً واعتزازاً. فقد حققت القيادة السعودية لنفسها مكانة إقليمية وعالمية كنتيجة طبيعية للخط السياسي الحكيم والمتوازن.

والمملكة العربية السعودية دولة متميزة بمقوماتها الوطنية ومكانتها الجغرافية وموروثها السياسي.

وتعتمد مكانة المملكة وثقلها السياسي على عوامل عدة من أبرزها المصداقية السعودية وعمق التجربة السعودية وكذلك الروح العربية والإسلامية للقيادة السعودية ثم الخصائص الإنسانية السامية التي ترفع القيادة السعودية دائماً نحو تحقيق السلام بكافة مستوياته.

والمملكة العربية السعودية في تعاملها مع الأحداث والمواقف الإقليمية والعربية أو حتى العالمية تستند إلى

خبرات أكثر من سبعة عقود متواصلة من الاستقرار السياسي والجغرافي.

ثم إن القيادة السعودية بما تتحلى به من قيم نبيلة تدرك الأهمية الخاصة لمكانة المملكة في العالم وهي تحتضن الحرمين الشريفين وما لهما من قدسية ومكانة عالمية مهمة.

ففي شأن القوة الدبلوماسية أصبح من الواضح أن الحكومات بل لكل منها تقاط قوته ونقاط ضعفه. تلعب دوراً مهماً في تفعيل عناصر القوة الوطنية الأخرى لصالح المجهود الوطني عندما تدعو الحاجة لتفعيل الدبلوماسية، وتتفاوت نتائجها بحجم كفاءتها وصواب نهجها.

والسعودية تدرك أهمية مكانتها وأهمية أدوارها وتعرف حقيقة معطياتها السياسية والاستراتيجية ونهجها فهي تتحرك في ضوء معايير واضحة. ومن الطبيعي أن تضاعف شخصية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز من قوة الدبلوماسية السعودية لما للملك عبدالله من زعامة شخصية ومكانة عالمية.

ولذلك شهدت المملكة حركة سياسية نشطة بتوافد زوار الرياض من قادة الدول وممثليها انطلاقاً من ثقة الجميع بأهمية الدور السعودي وبحكمة القيادة السعودية وقدرتها على التأثير في الأحداث.

وقد أصبح معروفاً أن الدول العظمى في مقارباتها لإدارة الأزمات على المسرح الدولي الملتهب تعتمد غالبا على عنصر القوة العسكرية ولا تضاعفه بقوى أخرى متيسرة.

وتضع الدول العظمى حواجز وهمية تستند إلى مفهوم القوة المسلحة ومعطيات مضاعفتها بالقوة الاقتصادية والقوة المعلوماتية متناسية المخارج والمقاربات الحميدة والعادلة التي يمكن أن تحققها القوة الدبلوماسية.

وبصفة عامة ،فإن من الطبيعي أن تصبح المهارات الاستراتيجية في إدارة شؤون الدولة ناجحة وذات أهمية حيث تدرك الحكومة مجدل قدراتها المحتملة بعيدا عن وهم القوة المطلقة.

كما أن الحكومة الناجحة والعادلة تعمل برؤية صائبة والتزام محدد لعدد من الأسباب يعكس كثير منها نضج التجارب والقدرة على اختيار الآراء الأفضل عما ينبغي عليها فعله بما في ذلك من توقعات. وما ينبغي للنتائج أن تكون عليه.

وهناك مصادر مباشرة وأخرى ضمنية يمكن تحويلها معنوياً ودبلوماسياً لصالح المجهود الوطني، أو يمكن أن يكون العكس من ذلك مؤديا إلى نتائج سلبية.

ومن منظور إيجابي وتجربة معتبرة تمكنت القيادة السعودية من تحقيق نجاحات متتالية في زمن يشهد سعيا حثيثا مؤذيا نحو إثارة مبررات تنشوء الأزمات وشن الحروب والسعي لاستخدام القوة والعنف سبيلا لتحقيق المصالح.

ففي هذا الوقت الذي لا نكاد نحصي فيه عدد الأزمات الكبرى نلمس نهج الدبلوماسية السعودية في السعي عبر مبررات ومعطيات إنسانية فاضلة لتحقيق مصالح إقليمية وعالمية.

وفي الوقت نفسه نجد أن قوى عظمى متنفذة وذات سيطرة ومعطيات مادية ومعنوية قوية لا تعتمد في مقارباتها لحل الأزمات أكثر من التلويح بالقوة أو الابتزاز لتحقيق مصالح فردية دون النظر إلى حقوق الأطراف ومصالح الجميع.

ومن المعروف أن الموروث والسجل الدبلوماسي عبر عقود من الزمن في أنحاء الكرة الأرضية يبرهن لنا أن معطيات القوة المادية وحدها لا تحقق النجاح ولا تحل الأزمات حتى وإن تم فرض النصر بالقوة الشاملة.

ومن الأمثلة على صعوبة استخدام عنصر القوة العسكرية بمفردها لإنهاء الأزمات وتحقيق المكاسب أن مركزاً للأبحاث قد أراد أن يستطلع واقع الحرب الأمريكية في فيتنام عام ١٩٦٩م أي بعد نشوء الحرب واستمرارها بعدة سنوات، فتم إدخال كافة البيانات المتعلقة بالحرب الأمريكية في فيتنام في حاسب آلي له برامج متخصصة في المقارنات: عدد السكان، والناتج القومي الإجمالي، والقدرة التصنيعية، وعدد الدبابات، والسفن، والطائرات، وحجم القوات المسلحة وما إلى ذلك. ثم تم طرح السؤال التالي على الحاسب الآلي: (متى سننتصر)؟ ولم يتوان الحاسب الآلي في الإجابة: (سنتنصرون عام ١٩٦٤م)!!

وهذا يعني أن من المفترض أن الانتصار قد تم قبل عدة سنوات لو كان تحقيق النصر يستند إلى واقع القوة المسلحة بمفردها.

وليس من شك في أن هذا المثال يعكس فشلا دبلوماسيا حقيقيا لعدم قدرة الدوائر المعنية في زمن تلك الحرب على تحليل الأوضاع المحلية والإقليمية والدولية وتسخير المعطيات الحقيقية لصالح العمل الدبلوماسي الداعم لتلك الحملة الحربية لإنهائها بأقل الخسائر وبشيء من المكاسب.

هناك الكثير من الأزمات الدولية التي يصعب وضع حلولها بالقوة المسلحة وفي مقدمتها القضية الفلسطينية والقضية العراقية.

إن المبادرة الحكومية تكمن في تحويل الإرادة الوطنية إلى روح معنوية عالية تصب نتائجها في صالح الجهود الدبلوماسية.

ومهما كانت الدولة تملك من مصادر القوة فإن مكانتها الدولية تتأثر إيجابياً وسلباً بمدى حكمة قيادتها وعدالتها وقدرتها على قراءة الأحداث بمنظور يعتمد على القيم والأخلاق السياسية الفاضلة. كما أن الدولة التي تكون أكثر حذقا ومهارة في تحويل قواها الأخرى لصالح مجهوداتها الدبلوماسية تستطيع أن تحقق مكاسب وطنية ومكانة إقليمية وعالمية تصب نتائجها لصالح البلاد وشعبها وحكومتها.

وبقاس مستوى قوة الدولة بمستوى قدرتها على دمج كافة قواها الأخرى والتوازن في استخدام قواها لتساند كل قوة ممكنة بقية عناصر القوة الأخرى.

وليس أبلغ من الإرادة الوطنية السعودية نحو مكانة مرموقة تليق بالمكانة العالمية للمملكة العربية السعودية، وذلك طموح واقعي تبرهن على تحقيقه القيادة السعودية بشكل يبعث على الاعتزاز الوطني. ففي كثير من الحالات يوجد ارتباط مباشر بين درجة الاندماج بين قوى الدولة ومدى التجانس الأخلاقي واللغوي والثقافي.

وتلك عناصر تساهم جميعاً في الشعور بالانتماء الذي يتجلى في حسن المواطنة بما يعزز المقدرة الدبلوماسية للحكومة حين تعمل بزخم قوة شعبية متلاحمة بشعور وطني صادق.

وفي قناعتي أن المتتبع لمسيرة الدبلوماسية السعودية في مواجهة كثير من الأحداث وفي سعيها نحو تحقيق مكاسب وطنية أو مصالح عالمية وإقليمية، يدرك أنها قد تحقق لها من النجاح ومن الاحترام ما يؤكد نضج تجربتها، وهي توازن بين عناصر قوتها الوطنية في تكامل منطقي ومتعقل.

عضو مجلس الشورى السعودي
mabosak@yahoo.com